علامات مولد

العالَم

كان عاماً منهاراً قد قارب الناهية خلاصة ما يقال فيه : إنه عالم فَقَدَ العقيدة كما فَقَدَ النِّظام .

أي أنه فَقَدَ أسباب ﷺ الطمأنينة في الباطن ، والظاهر ، طمأنينة الباطن التي تنشأ من الاعتماد على قوة غيبية تنشر العدل ، وتحمي الضعيف ، وتحاسب الظالم، وتختار الأصلح الأكمل من جميع الأمور .

وطمأنينة الظاهر التي تنشأ من الاعتماد على دولة تقضي بشريعة الحق ، وتفصل بين المعتدين والأبرياء ، وتحرس الطريق ، وتخيف الفاسدين .

فالإمبراطورية البيزنطية قد خرجت من الدين إلى الجَدَل الذي لا خير فيه ، الذي أصبح عَلَماً عليها ، وضعفت قوتها في البر والبحر حتى طمع فيها من كان يحتمي بها .

والفرس قد سَخِرَ فيها المجوس من دين المجوس ودبَّت فيها الفتن وثارت فيها الشهوات .

والحبشة ضائعة بين الأوثان المُسْتعارة من الحضارة تارة ومن الهمجية تارة ، وبين التوحيد الذي هو نوع من عبادة الأوثان .

ثم هي بعد هذا التشويه في الدين لم يكن لها رسالة دنيوية أو إنجازات حضارية فليس لها عمل باقٍ في سجلِّ الأعمال الباقيات .

لقد كان العالَم يتطلَّع إلى حال غير حاله .. عالم يتهيَّأ للتبديل أو للهدم ثم البناء.

أُمَّــة

وبين هذه الدول المنهارة أمَّة ليست بذات دولة ولكنها تتأهَّب لإقامة دولة هي أمَّة العرب [1] وقد تيقظت لوجودها ، وشعرت بمكانتها كما شعرت بالخطر عليها وبمواضع النقص منها . في أيديها تجارة العالمين كلها .

فإذا سارت القوافل من خليج فارس إلى بحر الروم ، فهي تسير في البادية بين حراس من العرب لا سلطان عليهم للدول المنهارة ، أو هم قد شعروا بذلك السلطان حيناً في أثناء السطوة الرومانية والسطوة الفارسية ، ثم أنهم مالكون لقيادتهم يرضون فتتصل الأرزاق بين المشرق والمغرب وبين المغرب والمشرق ، ويغضبون فتبور التجارة وتقل الموارد وتكسد الأسواق .

وإذا سارت القوافل من اليمن إلى الشام أو من البحر الأحمر إلى البحر الأبيض فهي جوار الأعراب من كلتا الطريقين .

أمة تيقظت لوجودها ، وعرفت شأنها بين من يحيطون بصحرائها ، ثم رأت هؤلاء المحيطين بها يعتدون عليها ، ويريدون إخضاعها وابتلاعها .

([1]) الأُمَّة جماعة من الناس أكثرهم من أَصل واحد ، وتجمعهم صفات موروثة ، ومصالح وأَمانيُّ واحدة ، أو يجمعهم أمر واحد من دين أو مكان أو زمان . يقال : الأُمة المصرية ، والأُمة العِراقية(المعجم الوسيط) وبناء على هذا التعريف فإن العرب لا يعدون أمة وإن جمعهم أصل واحد وصفات مورثة ولغة واحدة ؛ لأنهم لم يجتمعوا على مصالح وأماني واحدة ، ولم يجتمعوا على دين واحد ولا مكان واحد إنما هم قبائل متفرقة في جزيرة العرب ليس لها حاكم يخضعون له ولا قانون يلتزمون به ولا مكان ثابت يستقرون فيه فمعظمهم بدو رحَّل ولم يصبحوا أمة إلا بعد ظهور الإسلام وإيمانهم برسوله الكريم ﷺ ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة : ١٤٣].

فهرقل الرومي يرسل إلى مكة من يحكمها ، وأبرهة الحبشي يزحف إلى مكة بمن يهدم كعبتها ويستبدل بها كعبة غيرها ، وفارس تطغى على شرق البلاد وعلى جنوبها خطر من خارجها يزيد الأمة يقظة وانتباهاً لوجودها . خطر من داخلها دفع بها دفعاً إلى الزوال أو إلى استكمال النقص المنتشر في حياتها . [1]

مدينة واحدة تجتمع فيها ثروة الجزيرة وجماعة واحدة من سادة القوم تجتمع في أيديها ثروة المدينة .

حالة لا استقرار فيها .

فمن هنا نعومة العيش والطمع والخمر والقمار والمتعة وتسخير الأقوياء للضعفاء.

ومن هنا الفقر والحسرة والشك في صلاح الأمور .

ولكنه شك يبحث ويضطرب ، وليس بالشك الذي يستريح ويهدأ فحيثما اجتمع أناس من أولى الرأي يذكرون العقيدة وطمأنينة الضمير ، فهناك هاتف بينهم بسوء ما هم عليه .

---

(1) لم يكن العرب في سبيلهم لإقامة دولة قبل بعثته ﷺ فقد قامت حياتهم على النظام القبلي المغلق الرافض للانخراط في سلك مجتمع أكبر ذي قوانين عامة حاكمة يخضع لها الجميع ، كما هو معروف في سائر الأمم المتحضِّرة قديماً وحديثاً ، ومردُّ ذلك إلى النزعة الفرديَّة التي تميز بها النظام القبلي ، والذي يعد الخضوع لسلطة حاكم عام ضعفاً وجبناً ، فقبول حكم صادر من غير سيد القبيلة عبودية ، ففكرة المواطنة لم يكن لها وجود في شرعتهم ، فإما سادة أو عبيد .

وفي ذلك يقول محمد فريد وجدي : " أما دعواهم بأن القبائل العربية كانت تتهيأ لجمع شتاتها ، والقيام على هيئة أمة قبل بعثة النبي ﷺ ، فهي دعوى لا دليل لهم عليها ، بل لا أثر يؤثر عنها ، وإن أمة تدب فيها هذه روح ولا تُؤْثر عنها كلمة فيها بيت من الشعر أو أية حركة تنم عليها ، لأمر يوجب الدهش ، لا سيما وقد نقل الرواة من أخبارها كل صغيرة وكبيرة ، بل اختلقوا عليها ما شاءوا أن يختلقوا ، فلو كان لديها ميل للاجتماع لما خفي أمره ، ولكانت له شواهد كثيرة تشير إليه " محمد فريد وجدي "السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة" الهيئة المصرية للكتاب ص ٣٩

اجتمع أناس بِنَخْلَة لإحياء عيد العُزَّى، فقال رجل منهم لإخوانه : " والله ما قومكم على شيء، وإنهم لفي ضلال، فما حجر نطوف به، لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، ومن فوقه تذبح القرابين ؟ يا قوم التمسوا لكم ديناً غير هذا الدين، الذي أنتم عليه ، ثم تفرقوا، فمنهم من تنصر، ومنهم من اعتزل الأوثان، ومنهم من انتظر حتى سمع دعوة الإسلام فأسلم .وكان الذي تنصَّر وسمع دعوة الإسلام ورقةَ بن نوفل، الذي كتب له أن يتلقى بشارة النبي العربي، عند ظهوره، ويلقى إليه بالبشارة .

هؤلاء شكُّوا وبحثوا عن العقيدة وطمأنينة الضمير.. [1] وغيرهم شكُّوا وبحثوا عن ضمير مانع وسلطان رادع ، فاجتمعت بنو هاشم وزهرة وتيم، يتعاهدون باسم الله

---

(1) الحقيقة التي يقررها القرآن وتبينها السيرة النبوية هي أن العرب قبل بعثته ﷺ كانوا في ضلال مبين ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢] وعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ " أَلا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ " [صحيح مسلم] ولقد عاد العرب النبي ﷺ وحاربوا دعوته بشتى السبل كما هو معلوم لعامة المسلمين وخاصتهم وأن الحنفاء الذين تحدث عنهم العقاد نفر قليل لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة ، والذين آمنوا بالنبي ﷺ عند بعثته كانوا في جملتهم ليسوا ممن قادهم الشك في عقائد الجاهلية إلى الإيمان بالدين الجديد إنما قادتهم فطرهم السليمة وإيمانهم بأمانة النبي ﷺ وصدقه ثم تفكيرهم الحر المنزه عن الهوى والعقاد نفسه قال عن أبي بكر الصديق إنه " آمن بمحمد النبي وليس بالنبي محمد " ويمكن أن يقال هذا عن خديجة وعلي وعثمان والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار عدا قلة نادرة مثل ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وسلمان الفارسي ... والاجتماع الذي ذكره العقاد لم يكن اجتماعا دورياً كما حاول العقاد أن يوهمنا بل قال ابن اسحاق : " اجتمعت قريش يوماً في عيدٍ لهم عند صنمٍ من أصنامهم، كانوا يعظّمونه =

المنتقم، ليكونُن مع المظلوم، حتى يؤدى إليه حقه، وذلك حلف الفضول الذي شهده النبي العربي في شبابه، وقال فيه : " ما أحب أن يكون لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم . " (١)

=وينحرون له، ويعكفون عنده، ويدورون به، وكان ذلك عيداً لهم في كلّ سنةٍ يوماً، فخلص منهم أربعة نفرٍ نجيا، ثمّ قال بعضهم لبعض: تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض، قالوا: أجل. وهم: ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان بن الحويرث، وزيد بن عمرو بن نفيل. فقال بعضهم لبعض: تعلموا والله ما قومكم على شيء ! لقد أخطئوا دين أبيهم إبراهيم! ما حجرٌ نطيف به، لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع! يا قوم، التمسوا لأنفسكم دينا، فإنّكم والله ما أنتم على شيء. فتفرّقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية، دين إبراهيم . " (ابن هشام : ج١ ص ٢٣٦، ٢٣٧). وهناك رواية ثانية لهذا الاجتماع ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية نقلاً عن الخرائطي عن عروة بن الزبير وهاتان الروايتان لا تصحان ، وعلى فرض صحتهما فإنهما لا يؤيدان ما ذهب إليه العقاد من أن أصحاب الرأي كانوا دائمي الحديث حول الشك في عقائد الجاهلية متى اجتمعوا إنما الأمر مقصور على اجتماع واحد مجهول الزمان وعلى أربعة نفر فقط ، أسلم اثنان منهما بعد ذلك وهما : ورقة وعبيد الله ، ولم يسلم الآخران .كما لا تفصح الروايتان عمن تكلّم في الاجتماع من هؤلاء الأربعة. كما أن رواية ابن كثير تشتمل على أسطورة بيِّنة الوضع فالصنم الذي اجتمع هؤلاء النفر عنده كان ينقلب ثم يعدلوه تكرر ذلك أربع مرات وفي المرة الرابعة لما استوى هتف بهم هاتف من الصنم جهير وأخبرهم شعراً أنه انقلب بسبب مولود أنار بنوره الشرق والغرب وارتعدت له ملوك الأرض وطفئت نار فارس وبات شاه الفرس في أعظم الكرب ، وكفت الجن عن إخبار الكهان بالغيب ، ثم ينهي مقطوعته الشعرية قائلاً : فيا لقصي ارجعوا عن ضلالكم . والرواية بيِّنة الوضع . وقال علماء الحديث هذا حديث موضوع في إسناده وضَّاعان هما عبد الله بن محمد البلوى، وعمارة بن زيد.

(1) عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : " لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِيَ بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الإِسْلامِ لأَجَبْتُ " ، قَالَ الْقُتَيْبِيُّ فِيمَا بَلَغَنِي عَنْهُ : وَكَانَ سَبَبُ الْحِلْفِ أَنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَتَظَالَمُ بِالْحَرَمِ ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُدْعَانَ ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَدَعَوَاهُمْ إِلَى التَّحَالُفِ عَلَى التَّنَاصُرِ ، وَالأَخْذِ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ ، فَأَجَابَهُمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَعْضُ الْقَبَائِلِ مِنْ قُرَيْشٍ ." [صحيح البيهقي] .

حالة لا تستقر ولا تزال في طلب الاستقرار .. وأمة يقظى ..! وخطر محدق بها مما حولها . ومما هو في دخائلها وأحشائها .حالة تنذر بالزوال، وقلما تزول أمة يقظى، في أوان انتباهها، فتلك إذن حالة للتبديل والتجديد . [1]

قبيلـــة ..

وقبيلة في تلك الأمة، في تلك المدينة، لها شعبتان: إحداهما من أصحاب الترف والطمع، واستبقاء ما هو قائم، كما كان قائماً، على هواها .والأخرى من أصحاب التقوى والسماحة والتوسط، بين مقام القوى الذي يجور ويطغى، ويستبقى أداة الجور والطغيان، ومقام الضعيف الذي يحتمل الأذى، ويصبر على الكريهة، ولا يملك مع السيد الآمر، إلا أن يذعن له، ويأكل من فضلات يديه .

بيـــت ..

وبيت من تلك الشعبة الوسطى، له كرم النسب العريق، وليس له لؤم الثروة الجامحة، والقسوة على من دونه من المحرومين... ذلك هو بيت عبد المطلب، سادة قريش، ، وإن لم يكن معدودا من أثرياء القبيلة القرشية في ذلك الأوان.

رأس هذا البيت (عبد المطلب) رجل قوى الخلق، قوى الإيمان فيما آمن به [2] حكيم مع قوة طبعه وشدة إيمانه، خليق أن ينجب من يبشِّر بدعوة، ويدافع عن دين .

---

(1) رغم عدم الاستقرار الذي كان يَسِم حياة العرب في الجاهلية والمخاطر التي كانت تحدق بهم من الداخل والخارج إلا إن ذلك لم يوقظ العرب ولم يدفعهم لطلب الاستقرار والوحدة لا كما ذكر العقاد من أن العرب كانوا أمة يقظى تطلب الاستقرار فلم يكن العرب أمة بل كانوا قبائل متفرقة ، ولم يكونوا أيقاظاً بل كانوا غافلين وفي ضلال مبين ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا ﴾ [الفرقان: ٤٤] .

(2) لم يكن عبد المطلب مؤمناً إنما كان على دين آبائه من أهل الفترة ، وأهل الفترة: هم الذين عاشوا بين فترة سيدنا عيسى ولم تبلغهم رسالة سيدنا محمد وهم غير معذبين ولو ماتوا على الكفر لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾ [الإسراء:١٥]

نذر لئن عاش له عشرة بنين لذيحن أحدهم عند الكعبة ، ثم أحله قومه وأحلته العرافة من نذره ، فأبى أن يتحلل حتى يستوثق من رضي الرب ورضي ضميره . سألتهم العرافة : " كم الدية فيكم " .

قالوا : " عشر من الإبل " .

قالت : " فتقربوا إذن بعشر من الإبل واضربوا على الفتى وعليها بالقداح ، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم " فما زالوا يزيدون حتى بلغت الإبل مائة وخرجت السهام عليها . فهتفت قريش بعبد المطلب : " لقد رضي ربك ، فأطلق فتاك " وكان خليقاً بمن يريد أن يتحلل ويتعلل أن يقبل ولا حرج عليه، ولكن عبد المطلب لم يكن من المتحللين المتعللين ، فأبى إلا أن يضرب عليها القداح ثلاث مرات ، ثم ذبحت الإبل للجياع من البشر والسباع . (١)

وجاء القائد الحبشى، يهدم الكعبة، ويسطو على الإبل والشاة . ولما سأله عبد المطلب، أن يردَّ عليه إبله، قال له مقال السياسي المحرج المداور بالكلام: أراك تسأل عن إبلك، ولا تسأل عن الكعبة " .

فأجابه عبد المطلب جواب الحكيم المؤمن: " أما الإبل فأنا ربها، وأما البيت فله رب يحميه .فكان إيمانه إيماناً كفئاً لدهاء السياسة، ولم يكن إيمان العجز والتواكل والاستسلام . (٢)

---

(1) ذكر ابن إسحاق قصة ذبح عبد الله بدون سند واستهلها بقوله " كان عبد المطلب فيما يزعمون نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ليذبحن أحدهم لله عند الكعبة." (نقلاً عن سيرة ابن كثير ج ١ ص ١٧٤) وقول ابن إسحق " فيما يزعمون " يدل على شكِّه في الرواية فالفعل " زَعَمَ " يُسْتَعْمَلُ في الشَّكِّ والظَّنِّ وَما يُعْتَقَدُ أَنَّهُ كَذِبٌ . وهو القول بلا دليل ، وهو الخبر الذي يغلب عليه الكذب كما جاء في معجم " مصطلحات فقهية " ، أما حديث " أنا ابنُ الذَّبيحَينِ " فلا أصل له كما قال الألباني وغيره .

(2) إجابة عبد المطلب عن سؤال أبرهة تنم على تواكل وسلبية وعدم الإيمان حقيقي برب البيت ولو كان مؤمنا حقا لهبَّ للدفاع عن بيته مستعينا به فمن علامات الإيمان التضحية في سبيل من=

ومَن كان له هذا الخلق، وهذا الضمير، وهذا الإيمان، وهذه الرئاسة، فليس من عجب، أن ينجب نبياً في زمان يستدعى الأنبياء، ومكان مهيأ لهم، دون كل مكان . بل العجب أن يكون الأمر غير ما كان . (١)

أب ..

وإذا كان عبد المطلب جداً صالحاً لنبي كريم ، فابنه عبد الله نعم الأب لذلك النبي الكريم .

= نؤمن به بالنفس والنفيس لا أن نتخلى عنه عندما يحدق به خطر ، ففي مقدمة الكليات الخمس التي اتفقت كل الأديان على وجوب حفظها ، الحفاظ على الدين يقول تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال:٦٠] ويقول النبي ﷺ : " مَنْ قتِلَ دُونَ دِينهِ فَهُوَ شَهِيدٌ " [صحيح أَبي داود والترمذي]

(1) في هذا الكلام نظر فمع تسليمنا بأن الله تعالى ﴿ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٣] و ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام:١٢٤] وأن لله في كل أمر حكمة بالغة وقدرة مقتدرة لكن المبرر الذي ساقه العقاد بعيد فالعرب كانوا يعتدُّون بالحسب والنسب ويعرفون الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق ، كما أن عصبية الرجل تمنعه من جهل الجاهلين وطيش الطائشين ويحفظون جميل الرجل في أهله وعقبه وقد كان عبد المطلب متصفاً بكل هذه الخلال فهو سيد في قومه حسيباً نسيباً قوي العصب له أياد على أهل مكة مهاب الجانب مطاع الأمر مما جعل النبي حفيده في منعة من بأس رءوس الكفر في مكة كما سيأتي قول العقاد بعد ذلك عن النبي ﷺ أنه " نبيل عريق النسب، وليس بالوضيع الخامل فيصغر قدره في أمة الأنساب والأحساب" ومع ذلك بعد موت عمه أبو طالب وزوجه خديجة قاطعه القوم وحاصروه وأهله في شعب أبي طالب ثم احتالوا لقتله ﷺ وإجبار قومه لقبول ديته بدلاً من الثأر من القبيلة التي تقتله باقتراح أبي جهل أَرَى أَنْ تَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ فَتًى شَابًّا ، جَلْدًا نَسِيبًا وَسِيطًا فِينَا ، ثُمَّ نُعْطِي كُلَّ فَتًى مِنْهُمْ سَيْفًا صَارِمًا ، ثُمَّ يَعْمِدُونَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَضْرِبُونَهُ بِهَا ضَرْبَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَيَقْتُلُونَهُ ، فَنَسْتَرِيحُ، فَإِنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا ، فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ قَوْمِهِمْ جَمِيعًا ، وَرَضُوا مِنَّا بِالْعَقْلِ ، فَعَقَلْنَاهُ لَهُمْ.

لكأنما كان بضعة من عالم الغيب، أُرْسلت إلى هذه الدنيا لتنجب فيها نبيا، وهى لا تراه ، ثم تعود .

كان إنساناً من طينة الشهداء، يتجه إلى القلب الإنساني، بكل ما فيه من حب وحنو ورحمة، فهو الفتى الذي اسمه عبد الله، والذي اختير للفداء، فجاشت له شفقة قومه، حتى تركه لهم القدر إلى حين، وهو الفتى الذي تحدثت الفتيات في الخدور بوسامته وحيائه، وودَّت مئات منهن، لو نعمن منه بنعمة الزواج . وهو الفتى الذي أقام مع عروسه ثلاثة أيام، ثم سافر ليتاجر، فإذا هي السفرة التي لا يعود منها الذاهبون، وهو الفتى الذي مات وهو غريب، وولد له نسله الكريم وهو مقبور . (١)

وهكذا تتمثل البصائر الخاشعة، آباء الأنبياء والسلالة التي تصل بين الآخرة والدنيا، وبين عالم البقاء وعالم الفناء . (٢)

رجـــل ..

عالَم يتطلع إلى نبي، وأمَّة تتطلع إلى نبي، ومدينة تتطلع إلى نبي وقبيلة وبيت وأبوان أصلح ما يكونون لإنجاب ذلك النبي . (٣)

---

(1) لم يكن عبد الله أبو النبي " من طينة الشهداء " كما قال العقاد فعبد الله لم يكن شهيداً وليس من طينة شهداء الحق والدين إنما كان المُفدَّى كجده الأكبر إسماعيل عليه السلام وقد صحَّ أنَّ أعرابيًّا قالَ للنَّبيِّ ﷺ: يا ابنَ الذَّبيحَينِ ، فتبسَّمَ ولَم يُنكرْ عليهِ . " .

(2) لم يكن آباء كل أنبياء من أصحاب البصائر الخاشعة التي تصل بين الآخرة والدنيا فآزر أبو إبراهيم لم يكن كذلك بل كان خلاف ذلك ؛ فالنبوة اصطفاء إلهي وليست كسباً بشرياً أو جينات وراثية وهذا الاصطفاء مِنَّة إلهية امتنَّ الله بها على الأنبياء والمرسلين.

(3) لم يكن العالم كله يتطلع إلى نبي فقد كان هناك طوائف كثيرة : أغنياء وفقراء ، أقوياء وضعفاء، رجال ونساء ، سادة وعبيد وكان هؤلاء وأولئك غافلين لا يسعون لمعرفة الحق ولا يبحثون عن حقيقة وجودهم ولا الحياة التي يحيونها فهم كالأنعام بل أضل سبيلاً ، " إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ =

ثم ها هو ذا رجل لا يشاركه رجل آخر في صفاته ومقدماته، ولا يدانيه رجل آخر في صفاته الفضلى، التي هيأته لتلك الرسالة الروحية المأمولة في المدينة وفى الجزيرة وفى العالم بأسره . نبيل عريق النسب، وليس بالوضيع الخامل فيصغر قدره في أمة الأنساب والأحساب.

فقير وليس بالغنى المترف، فيطغيه بأس النبلاء والأغنياء، ويغلق قلبه على ما يغلق القلوب من جشع القوة والغنى .

يتيم بين رحماء، فليس هو بالمدلل الذي يقتل فيه التدليل مَلَكَة الجِد والإرادة والاستقلال، وليس هو بالمهجور المنبوذ الذي تقتل فيه القسوةُ روحَ الأمل وعزَّة النفس وطبيعة الطموح،وفضيلة العطف على الآخرين.

خبير بكل ما يعرفه العرب من أنواع العيش في الصحراء والمدن ، تربَّى في الصحراء وألف المدينة، ورعى القطعان، واشتغل بالتجارة، وشهد الحروب والأحلاف، واقترب من الأغنياء، ولم يبتعد من الفقراء .

فهو خلاصة الكفاية العربية، في خير ما تكون عليه الكفاية العربية، وهو على صلة بالدنيا التي أحاطت بقومه، فلا هو يجهلها فيغفل عنها، ولا هو ينغمس فيها فيغرق في بحرها .

=الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ " [صحيح مسلم]وقليل .. قليل أولئك الباحثون عن الحق الراغبون في الهداية والذي يؤكد هذا أن أكثر الناس لم يؤمنوا ببعثته ﷺ عندما بُعِث بل أنهم عادوه وحاربوا دعوته وعذبوا أنصاره ولو كانت مكة تتطلع إلى نبي كما قال العقاد لأسرع أهلها إلى الإيمان به عندما دعاهم للإيمان ولكن ما آمن معه إلا قليل ممن سلمت فطرتهم من أدران الكفر وسلمت عقولهم من هوى النفس ووسوسة الشيطان والتعلق بزخرف الدنيا. وبعض ممن أعلنوا إسلامهم بعد أن عزَّ الإسلام وقويت شوكته كانوا من المنافقين أو المرائين أو الفاسقين ولم يكونوا من المؤمنين الشاكرين .

أصلح رجل، من أصلح بيت، في أصلح زمان، لرسالة النجاة المنتظرة ، على غير علم من الدنيا التي ترقبها .

ذلك محمد بن عبد الله ﷺ ، قد ظهر والمدينة مهيأة، لظهوره، لأنها محتاجة إليه، والجزيرة مهيأة لظهوره، لأنها محتاجة إليه، والدنيا مهيأة لظهوره، لأنها محتاجة إليه، وماذا من علامات الرسالة أصدق من هذه العلامة ؟ وماذا من تدبير المقادير أصدق من هذا التدبير؟ وماذا من أساطير المخترعين للأساطير أعجب من هذا الواقع، ومن هذا التوفيق؟ علامات الرسالة الصادقة هي عقيدة تحتاج إليها الأمة، وهى أسباب تمهد لظهورها، وهى رجل يقوم بأمانتها في أوانها.

فإذا تجمَّعت هذه العلامات، فماذا يلجئنا إلى علامة غيرها، وإذا تعذَّر عليها أن تجتمع فأي علامة غيرها تنوب عنها أو تعوّض ما نقص منها ؟

خلق محمد بن عبد الله ﷺ ليكون رسولاً مبشراً بدين، وإلا فلأي شيء خلق، ولأي عمل من أعمال هذه الحياة ترشحه كل هاتيك المقدمات والتوفيقات، وكل هاتيك المناقب والصفات ؟

لو اشتغل بالتجارة طول حياته كما اشتغل بها فترة من الزمن، لكان تاجراً أميناً ناجحاً موثوقا به في سوق التجار.. ولكن التجارة كانت تشغل بعض صفاته، ثم تظل صفاته العليا معطلة لا حاجة إليها في هذا العمل مهما يتسع له المجال .

ولو اشتغل زعيماً بين قومه لصلح للزعامة، ولكن الزعامة لا تستوفى كل ما فيه من قدرة واستعداد ..

فالذي أعده له زمانه وأعدته له فطرته هو الرسالة العالمية لا سواها، وما من أحد قد أعد في هذه الدنيا لرسالة دينية إن لم يكن محمد ﷺ قد أعد لها أكمل إعداد .

بشائر الرسالة ..

والمؤرخون يجهدون أقلامهم غاية الجهد في استقصاء بشائر الرسالة المحمدية .. يسردون ما أكَّده الرواة منها وما لم يؤكدوه، وما قبله الثقات منها وما لم يقبلوه ، وما أيَّدته الحوادث أو ناقضته، وما وافقته العلوم أو عارضته، ويتَّفوقون في الرأي والهوى بين تفسير الإيمان وتفسير العيان، وتفسير المعرفة وتفسير الجهالة، فهل يستطيعون أن يختلفوا لحظة واحدة في آثار تلك البشائر التي سبقت الميلاد أو صاحبت الميلاد حين ظهرت الدعوة واستفاض أمر الإسلام.

لا موضع هنا لاختلاف .. فما من بشارة من تلك البشائر كان لها أثر في إقناع أحد بالرسالة يوم صدع النبي بالرسالة، أو كان ثبوت الإسلام متوقفا عليها.

لأن الذين شهدوا العلاقات المزعومة يوم الميلاد، لم يعرفوا يومئذ مغزاها ومؤداها، ولا عرفوا أنها علامة على شيء أو على رسالة ستأتي بعد أربعين سنة.

ولأن الذين سمعوا بالدعوة وأصاخوا إلى الرسالة بعد البشائر بأربعين سنة، لم يشهدوا بشارة واحدة منها، ولم يحتاجوا إلى شهودها ليؤمنوا بصدق ما سمعوه واحتاجوا إليه.

وقد ولد مع النبي ﷺ أطفال كثيرون في مشارق الأرض ومغاربها، فإذا جاز للمصدق أن ينسبها إلى مولده جاز للمكابر أن ينسبها إلى مولد غيره . ولم تفصل الحوادث بالحق بين المصدقين والمكابرين إلا بعد عشرات السنين.. يوم تأتى الدعوة بالآيات والبراهين غنية عن شهادة الشاهدين وإنكار المنكرين.

أما العلامة التي لا التباس فيها ولا سبيل إلى إنكارها، فهي علامة الكون وعلامة التاريخ .

قالت حوادث الكون: لقد كانت الدنيا في حاجة إلى رسالة ..

وقالت حقائق التاريخ: لقد كان محمد ﷺ صاحب تلك الرسالة..

ولا كلمة لقائل بعد علامة الكون وعلامة التاريخ . [1]

عبقرية الداعي

لقد استكمل محمد ﷺ الصفات التي لا غنى عنها في إنجاح كل رسالة عظيمة من رسالات التاريخ .

كانت له فصاحة اللسان واللغة .

وكانت له القدرة على تأليف القلوب وكسب ثقة الناس .

وكانت له قوة الإيمان بدعوته وحرصه البالغ على نجاحها .

وهذه الصفات للرسول غير أحوال الرسول ﷺ ولكنها هي الأساس في تبليغ الرسالة .

الفصاحة

فالفصاحة صفة تجتمع للكلام ، ولهيئة النطق بالكلام ، ولموضوع الكلام ، ولقد تكاملت لمحمد ﷺ الفصاحة في كلامه ، وفي هيئة نطقه بالكلام ، وفي موضوع الكلام .

فقد كان أفصح العرب كما قال " أنا قرشي واسترضعت في بني سعد بن بكر " [2] وكان جمال محمد ﷺ في فصاحته في نطقه كجمال فصاحته في كلامه وخير من وصفه بذلك عائشة رضي الله عنها حيث قالت :" ما كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وسلَّمَ يَسرُدُ سردَكم هذا ولَكنَّهُ كانَ يتكلَّمُ بِكلامٍ بَيِّنَهُ فصلٌ يحفظُهُ من جلسَ إليْهِ"[صحيح الترمذي] واتفقت الروايات على تنزيه نطقه من عيوب الحروف ومخارجها ، وقدرته على إيقاعها في أحسن مواقعها فهو صاحب كلام سليم في منطق سليم . فما من حديث له حفظه لنا الرواة الثقات إلا وهو دليل صادق على أنه أوتي حقاً "جوامع الكلم" [3]

---

(1) وسوف نناقش موضوع دلائل النبوة التي ظهرت قبل بعثة النبي ﷺ في التعليق الختامي .

(2) ذَكَرَه ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق ، وهو حديث صحيح المعنى واهي السند .

(3) عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ: " أُوتيتُ جوامِعَ الكلمِ " [صحيح مسلم]

والوسامة والثقة

كانت للنبي ﷺ مع الفصاحة وسامة وجمال تحببانه إلى كل من رآه ولم يبلغ عن أحد في الدنيا أنه بلغ بهذه الصفة مثل ما بلغه محمد ﷺ بين الضعفاء والأقوياء على السواء.

ويكفيك من حب الضعفاء له أن فتى مُسْتعبَداً يفقد أباه وأسرته كزيد بن حارثة ثم يظهر له أبوه بعد طول الغيبة فيؤثر البقاء مع محمد ﷺ على الذهاب مع أبيه.

ويكفيك من حب الأقوياء له أنه جمع محبته أناساً بينهم من التفاوت في المزاج والصفات ما بين أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وخالد ، وأبي عبيدة ، وهم جميعاً من عظماء الرجال . ولقد جمع محمد ﷺ بين جمال الهيئة وثقة الناس فيه فقد كان مشهوراً بصدقه وأمانته كاشتهاره بوسامته وحنانه ، وشهد له بالصدق والأمانة أعداؤه ومخالفوه ، كما شهد بهما أحباؤه وموافقوه فأحب أن يستعين بها على هدايتهم وترغيبهم في دعوته فكان يسألهم : " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونني ؟ " فيقولون : " نعم أنت عندنا غير متهم " [1]

ألا إن الإنسان ينفر مما يصدمه في مألوفاته وموروثاته ولو ذكر له ألف دليل على صدقه . نفور الكفار من كلام محمد ﷺ ليس طعناً في صدقه وأمانته ولكنه كنفور الإنسان من سماع خبر سيء فيمن يحب أو فيما يحب . [2]

---

(1) نص الحديث كما جاء في البخاري : " عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ : " أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟ " قَالُوا : نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إلا صِدْقًا . قَالَ: " فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ " . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا فَنَزَلَتْ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ " .

(2) ذكر القرآن الكريم أن من كفر بدعوة النبي ﷺ وأساءوا إليه لم يكونوا يتهمونه بالكذب إنما كانوا ينكرون ما جاء به من الحق يقول تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣]

الإيمان والغيرة على الدين

وهناك صفة أخرى يحتاج إليها الداعي أشد من فصاحة اللسان وجمال الهيئة والخِلْقَة وهي إيمانه بدعوته وغيرته على نجاحها ، والنبي ﷺ لما آمن برسالته هو ودعوة ربه له بأداء تلك الرسالة قام بأمر الدعوة ورضي ضميره بما أوتي من الهداية [1] كما رضيت به ضمائر الأنبياء وأصحاب الفِطَر الدينية ، فلا عجب أن تبلغ دعوة محمد ﷺ الغاية التي بلغت .

نجاح الدعوة

بعض أعداء الإسلام يتهمون الدعوة الإسلامية أن نجاحها كان بسبب الوعيد والوعود والإرهاب بالسيف والإغراء بالنعيم ومتعة الخمر والحور العين .

أي إرهاب ، وأي سيف ؟!

---

(1) يزعم العقاد أن للنبي ﷺ رسالة خاصة به قبل أن يوحى إليه وأن الله تعالى قد أمره بتبليغ رسالته هذه فقام بتبليغها الناس ، وهذا كلام مخالف تماماً لحقيقة رسالات الله عامة ورسالة النبي ﷺ خاصة فلم يكن النبي ﷺ قبل أن يختاره الله لحمل رسالته صاحب رسالة دينية أو غير دينية يدعو الناس إليها ولم يكن يعلم من أمر الدين شيئاً ، يقول د. سيد طنطاوي في تفسير قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ ﴾ [الأعراف: ١٥٧] أنه أمي ما قرأ ولا كتب ولا جلس إلى معلم ولا أخذ علمه عن أحد ولكن الله تعالى أوحى إليه بالقرآن الكريم عن طريق جبريل ، وأفاض عليه من لدنه علوما نافعة ومبادئ توضح ما أنزله عليه من القرآن الكريم ، فسبق بذلك الفلاسفة والمشرعين والمؤرخين وأرباب العلوم الكونية والطبيعية ، فأميته مع هذه العلوم التي يصلح عليها أمر الدنيا والآخرة ، أوضح دليل على أن ما يوقله إنما هو بوحي من الله إليه .
قال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكتاب وَلاَ الإيمان ولكن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى : ٥٢] (د. محمد سيد طنطاوي " التفسير الوسيط " ص ١٧٠٢) .

لم يسلم المسلمون على حد السيف خوفاً من النبي الأعزل المفرد بين قومه الغاضبين عليه بل أسلموا على الرغم من سيوف المشركين ووعيد الأقوياء المتحكمين ، ولما كثر عددهم حملوا السيف ليدفعوا الأذى ويبطلوا الإرهاب والوعيد، فلم تكن حرب من الحروب النبوية كلها حرب هجوم إنما كانت كلها حروب دفاع.

أما الإغراء بالنعيم لو كان دافعاً للإيمان لاستجاب للدعوة المحمدية فسقة المشركين وفجرتهم وأصحاب الترف والثروة فيهم فإن حياة النعيم بعد الموت مُحَبَّبة إلى المُنَعَّمِين تحبيبها إلى المحرومين بل مُحَبَّبة للمُنَعَّمين أكثر لأن الحرمان بعد التذوق أصعب من حرمان من لم يذق .

لم يكن السابقون إلى الإيمان بمحمد ﷺ أرغب في النعيم من المُتخلِّفين عن إجابة دعوته لكن هناك الفارق بين السابقين والمتخلفين هو الفارق بين الأخيار والأشرار، وبين الرحماء المُنْصِفِين ، والقساة الظالمين ، وبين من يعقلون ويسمعون إلى القول الحق ، ومن يستكبرون ولا يسمعون إلى الحق .

ذلك هو الفارق الواضح بين من سبقوا ومن تخلَّفوا ، وليس هو الفارق بين طالب لذة وزاهد فيها وإسلام عمر خير شاهد على ذلك يقول ابن إسحاق : " خرج عمر حاملاً سيفه يريد النبي ﷺ وجماعة من أصحابه اجتمعوا في بيت عند جبل الصفا فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له : " من تريد يا عمر ؟ " فقال : " أريد محمداً الذي فرَّق بين أمر قريش وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله " فقال نعيم : " والله لقد غرَّتك نفسك يا عمر ! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتصلح أمرهم " .

قال : " وأي أهل بيتي ؟ " .

قال : زوج أختك وابن عمك سعيد بن زيد ، وأختك فاطمة بنت الخطاب ؛ فقد والله أسلما فعليك بهما " .

فرجع عمر عامداً إلى أخته وزوجها وعندهما خباب ، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها ، وقد سمع عمر حين دنا من البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال : " ما هذا الصوت الذي سمعت " قالا له : " ما سمعت شيئاً " .

قال : " بلى والله ! لقد أُخْبِرْتُ أنكما تابعتما محمداً على دينه " وضرب سعيد بن زيد فقامت إليه أخته فاطمة لتمنعه عن زوجها فضربها فجرح رأسها فلما فعل ذلك قال له أخته : " نعم ، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما تشاء " .

فلما رأى عمر الدم يسيل من رأس أخته ندم على ما صنع وقال لأخته : " أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرءون من قبل أنظر ما هذا الذي جاء به محمد " قالت له أخته : " إنا نخاف عليها منك " .

قال : " لا تخافي " وحلف لها بآلهته لَيَرُدنَّها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك طمعت في إسلامه ، فقالت له : " يا أخي ، إنك نجس على شركك ، وإنه لا يمسها إلا طاهر " فقام عمر فاغتسل ، فأعطته الصحيفة وفيها " سورة طه " فقرأها فلما قرأ منها بدايتها قال : " ما أحسن هذا الكلام وأكرمه ! " فلما سمع ذلك خباب خرج إليه، فقال له : " يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصَّك بدعوة نبيه فإني سمعته وهو يقول : " اللهم أيِّد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب .. فالله الله يا عمر ! " [1]

فقال له عند ذلك عمر : " فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم " . فقال له خباب : " هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه " فأخذ عمر سيفه وذهب إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فضرب عليهم الباب ، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب فرآه متوشحاً السيف ، فرجع إلى ﷺ الله وهو فزع ، فقال : " يا رسول الله .. هذا عمر بن الخطاب متوشحاً بالسيف " .

فقال حمزة بن عبد المطلب : " تأذن له .. فإن كان جاء يريد خيراً أعطيناه له ، وإن كان يريد شراً قتلناه بسيفه " .

---

(1) عن عبد الله بن عباس قال : " أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ : اللَّهمَّ أعِزَّ الإسلامَ بأبي جهلِ بنِ هِشامٍ أو بعُمرَ بنِ الخطَّابِ قالَ فأصبحَ فغَدا عمرُ علَى رسولِ اللَّهِ ﷺ " [ضعيف الترمذي] .

فقال رسول الله ﷺ : " ائذن له " فأذن له الرجل ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه بالحجرة بمجمع ردائه ، ثم جذبه جذبة شديدة وقال " ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة (مصيبة من المصائب) " فقال عمر : " يا رسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله " .

قال : " فكبَّر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحابه أن عمر قد أسلم " فتفرق أصحاب رسول الله من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة ، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله من عدوهم " .

هذه قصة إسلام عمر بن الخطاب [1] وهذا ما فيها من الوعيد والإغراء خرج بالسيف ليقتل محمداً ﷺ ولم يخرج عليه أحد من المسلمين بسيف وقَرَأَ صدراً من سورة " طه " ليس فيها ذكر للخمر والنعيم ، وهو : (طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَى * إِلا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى * تَنْزِيلا مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ العُلا * الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى * لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجْهَرْ بِالقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) [طه:١-٧] فلا جبن إذن ولا طمع في إسلام عمر بن الخطاب بل رحمة وإنابة واعتذار .

ولم يكن في إسلام الفقراء الذين هم أقل من عمر ناصراً وأضعف منه قوة جبن ولا طمع ؛ لأنهم تعرضوا بإسلامهم للسيف ولم يخضعوا للسيف حين أسلموا لله ورسوله . وما كفر الذين كفروا لزهد ولا شجاعة فيقال : إن الذين سبقوهم إلى الإسلام قد فعلوا ذلك لطمع في لذات الجنة وجبن عن مواجهة القوة .

***

(1) ذكر ابن إسحاق قصة إسلام عمر بلا سند وقال في نهايتها : فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر حين أسلم " أخرج هذه القصة كذلك أبو نعيم في "دلائل النبوة" عن ابن عباس عن عمر، وذكر فيها أنه أسلم بعد حمزة بثلاثة أيام، وفي سند أبي نعيم ضعف، لكنه يتقوى بطرق ابن إسحاق.